الطريقة العلاوية في الجزائر: طريقة صوفية في حلة عصرية

أ. بن مزوز عامـر
أ.مسيكة محمد
جامعة الجلفة

مقدمة :

تعد الطريقة العلاوية أحدث الطرق الصوفية عهدا وآخرها تأسيسا [1]، وأكثرها دقة وتنظيما، فقد استعملت منذ تأسيسها أحدث الأساليب العصرية لبث أفكارها ومبادئها، وبذلك انتشرت الطريقة انتشارا سريعا وواسعا لم تحض به الطرق الأخرى، حتى المرضي عنها من طرف الإدارة الفرنسية[2]، فشاع أمرها وصار لها أتباع من المغرب العربي والسنغال ومدغشقر، كما انتشرت في أوربا وآسيا وأمريكا.[3]

ويذهب الشيخ عدة بن تونس(الشيخ الثاني للطريقة)، وكذلك المستشرق المعروف أوغستين بيرك إلى اعتبار الطريقة العلاوية حزبا تبشيريا بمبادئ الإسلام القويمة، حيث أسلم على يده عشرات الرجال، من بينهم شخصيات معروفة أمثال: الفنان الفرنسي عبد الكريم جوسو، والخبير الانجليزي مارتن لانغر الذي سمى نفسه الحاج أبو بكر سراج الدين.. بالإضافة إلى أفراد من المسيحيين الذين أقروا بالوحدة لله وبالرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وعموما فإن جوهر هذه الطريقة يقوم على بعدين أساسيين: بعد روحي تربوي يهتم بأمور الباطن ومعرفة النفس الإنسانية دون إغفال الجانب الظاهر من الشريعة الإسلامية ، وبعد عملي أخلاقي تعكسه سلوكات خُلُقية يتحلى بها المريد في معاملاته مع بني الإنسانية[4].

والواقع أن الطريقة العلاوية كانت –ولا تزال إلى يومنا– مجالا للقيل والقال، فقد واجهت انتقادات من بعض الإصلاحيين واتهمت بالزندقة والإلحاد مما أدى إلى نشوب الخلاف بين الطرفين الذي كانت صفحات الجرائد مجالا خصبا له.

والحقيقة أن المهاترات التي كانت بين بعض الإصلاحيين والطرقيين عموما، بدأت بصفة فردية ومتقطعة ثم ازدادت حدتها خاصة من بعض المصلحين الذين اتخذوا فكرتهم كرسالة يجب أداؤها، وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي الذي أمعن في الإساءة للطرقيين — في الفترة الأولى من حياته– حيث قال في أحد دروسه في نادي الترقي بحضور الشيخ مصطفى القاسمي والشيخ أحمد بن عليوة: ".. ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى –ولا شيوخ الطرق والطرقيون– حتى تتبع ملتهم ..." فخرج الشيخان غاضبين ومحتجين.[5]

ويرى عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون أن تلك الخلافات كان منشؤها حزازات شخصية أو نظريات حزبية أكثر منها دينية، بدليل الاتفاق في الحكم على ما كان خارجا عن الكتاب والسنة من أفعال بعض الجهلة المنتسبين للطرقية[6]، ولعل هذا كان واضحا في دعوة الشيخ بن باديس والشيخ بن عليوة إلى الوحدة ونبذ الخلاف والفرقة والتبرؤ مما كان يكتبه أنصار الطرفين في صفحات الجرائد من سب وشتم وتجريح.

أما علي مراد فيرى أن محاولات بن عليوة لم تشكل أي خلاص للمرابطية في الجزائر في وقت تعززت فيه الحركة الإصلاحية وازدادت هجمتها للطرقية،كما أوضح مراد أن بن عليوة ظل متجها صوب البحث عن مذهب تأليفي للمسيحية والإسلام مما جلب له بعض التعاطف والاهتمام في حينها بسبب دلالته السياسية لكن عواقبه المذهبية لم تتمكن من إثارة حماس المسلمين ولا المسيحيين[7].

لكن الجميع متفق على أن الطريقة العلاوية جديدة وعصرية وغير عادية بين الطرق الأخرى

1/نشأة الطريقة وتأسيسها:الطريقة العلاوية(والأصل فيها العليوية) هي الفرع الأخير للشاذلية الدرقاوية نسبة لمؤسسها الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة (العلاوي والعلوي)، الذي ورثها عن شيخه محمد البوزيدي، المعروف في مستغانم بسيدي حمو الشيخ، وذلك سنة 1909، تاريخ إنشاء الطريقة العلاوية[8].

غير أن تاريخ تأسيس الطريقة غير متفق عليه، فهناك من يجعل سنة 1909 هي سنة التأسيس، وهو ما جاء على لسان شيخ الطريقة الحالي خالد بن تونس[9] ، وهناك من يقول أنها تأسست سنة 1910، وظلت مجهولة حتى عام 1914[10]، وبعضهم يقول أنها نشأت سنة 1911[11]، والبعض الآخر يجعل تاريخ تأسيسها هو 1914[12].

لكن الأكيد هو أن بن عليوة خلف شيخه البوزيدي سنة 1909 وبدأ يومئذ في تجديد الطريقة الدرقاوية الشاذلية، التي حملت اسمه فيما بعد وبدأت تعرف ويذيع صيتها منذ 1914.

أما سبب تسميتها بالطريقة العليوية (العلاوية)، مع أنها كانت تعرف بالدرقاوية غربا والشاذلية شرقا، فقد جرت سنة القوم (أهل التصوف) أنه ما من مرشد ظهر نشاطه وعمت منافعه وكثر أتباعه إلا وسميت الطريقة باسمه، تنويها بشأنه ورفعة لذكره [13]، وقال الشيخ بن عليوة في هذا الباب:

صرح يا راوي باسم العلاوي بعد الدرقاوي خلفه الله

وأتباع الطريقة العلاوية يستعملون الحضرة أيضا ويمارسون الأذكار والاجتماعات ويحبون الخلوة، حتى ألزموا المريد بالاختلاء أربعين يوما إذا لزم الأمر وأثناء ذلك عليه أن لا يكف عن ذكر (الله) ومد المقطع الأخير منه. وعلى المريد أن يذكر الشهادة خمسة وسبعين ألف مرة، وأن يصوم أثناء الخلوة طول النهار ولا يأكل إلا ليلا. ومن مبادئهم أن "الكشف" قد يأتي للمريد في بضعة دقائق، وقد يأتي في بضعة أسابيع أو شهور. وهؤلاء الأتباع يستعملون الرقص والتواجد، ويذكرون الله بحركات خاصة إلى أن تصل إلى التشنج والصرع.[14]

ويضيف بعضهم أن أتباع الشيخ كانوا يركبون العجلات ويظهرون الحزم والنشاط كما يفعل الآباء البيض[15]. ويذهب مصدر آخر على أنهم كانوا يعقدون اجتماعات عامة لمناقشة مختلف القضايا الدينية والاجتماعية، كما تفعل مختلف الجمعيات (بروح عصرية).[16]

2/ سندها:

وضعه الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، ويعود إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو كما يلي نقلا عنه بالنص: [17]

"..لما كان مشرب القوم أبلغ المشارب في التحقيق وأسنى المدارج في التدقيق تعين على كل منتسب إليهم أن يحقق مستنده على الوجه الأحق، لأن الحقائق لا تؤخذ من كل ذي دعوة إلا بعد تحقق انتسابه على الوجه الأكمل كما ستراه إن شاء الله، في هذه السلسلة المرتبطة خلفا عن سلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير ريبة ولا أدنى شبهة في درة من دررها، فالمتمسك بالفرع آخذ بالأصل مهما تحقق الاتصال إلى أن قال : وللمقتصر أن يقتصر على الجهة العليا من الصحيفة لأنها أولى بالتحفظ وهي المعتمد في طريقنا، حسب ما بلغنا وتلقيناه من ذروة مجدهم، وثمرة غرسهم ذي الأخلاق الطيبة والأسرار العجيبة سيدنا ومولانا محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي طيب الله مثواه وجعل الحضرة العلية منزله ومأواه، فعنه رضي الله عنه أخذنا ولقننا وأذن لنا فجزاه الله بما هو أهله وهو أخذها عن أستاذه أبي المواهب سيدنا محمد بن قدور الوكيلي عن سيدنا محمد بن عبد القادر الباشا،وعن سيدي أبي يعزى المهاجي، وهما عن سيدي مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، عن سيدي على الجمل، عن سيدي العربي بن عبد الله عن سيدي احمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي

محمد بن عبد الله، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن مجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي، عن سيدي إبراهيم الفحام، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد الحضرمي، عن سيدي يحي القادري، عن سيدي على بن وفا، عن أبيه سيدي محمد وفا، عن سيدي داود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطا الله عن سيدي أبي العباس المرسل، عن أبي الحسن الشاذلي، عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن العطار الزيات، عن سيدي تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما، عن سيدي فخر الدين عن سيدي نور الدين أبي الحسن على ، عن سيدي محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعيد عن سيدي سعد عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد القزواني، عن سيدي أبي محمد جابر عن سيدي الحسن بن علي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، عن سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم"

3/ وردها:

من المعروف أن لكل طريقة صوفية وردها الخاص بها، وورد الطريقة العلوية يتمثل في الآتي:

1. قراءة سورة الواقعة، وبعد الانتهاء يقول المريد: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.
2. الدعاء.
3. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة: ((اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات، أتقرب إليك بكل صلاة صُليت عليه، من أول النشأة على ما لا نهاية للكمالات)) ثلاث مرات.
4. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.
5. الاستغفار كما يأتي:
6. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن الرحيم، ثلاث مرات)
7. وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم(مرة واحدة).
8. أستغفر الله (مائة مرة).
9. الصلاة كالآتي:
10. إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليم (مرة واحدة).
11. اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. (مائة مرة) وفي تمام المائة تقول : وسلم تسليما.
12. الهلالة:
13. شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام. (مرة واحدة).
14. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(مائة مرة).
15. الحمدلة: كما يلي:
16. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (مرة واحدة).
17. الحمد لله والشكر لله.

18. الإخلاص: أن تقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات.

19. الخاتمة: أن تختم هذا الورد العملي بهذه الآية: ((سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.)) (مرة واحدة)

ويدعوا المريد الله تعالى لنفسه وأهله ولولي نعمته وللمسلمين كافة، وتختم بالتصلية التالية:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا نبي الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، ألف صلا ة وألف سلام عليك وعلى آلك وأصحابك يا أكرم الخلق عند الله.

وهذا الورد هو امتداد للطريقة الدرقاوية الشاذلية عدا ما تفردت به العليوية من ذكر الحمدلة على يد شيخ الطريقة السيد محمد المهدي بن تونس (الشيخ الثالث للطريقة العلوية) وهو يذكر مرة واحد في الصباح وأخرى في المساء. [18]

4/ أقطابها:

لقد تعاقب على مشيخة الطريقة بعد وفاة مؤسسها الشيخ بن عليوة سنة1934 إلى يومنا هذا ثلاث مشايخ هم على التوالي

1- الشيخ عدة بن تونس :

وهو الشيخ الثاني للطريقة و الأول بعد وفاة المؤسس ،ولد بحي "تجديت" بمستغانم سنة1898 تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في كُتاب "الشيخ بلحميسي"،وكان منذ طفولته يتردد على زاوية الشيخ البوزيدي وهناك تعرف على شيخه أحمد بن عليوة فتوثقت صلات الود والمحبة بينهما،خصوصا بعدما آلت مشيخة الطريقة إلى الشيخ بن عليوة سنة1909 وأصبحت تُنسب إليه[19].وقيل انه عمل إسكافيا ثم بائع أسماك ثم ضابط صف في الجيش الفرنسي ثم سائق لسيارة الشيخ بن عليوة[20].

والأكيد انه عاش في صحبة شيخه بن عليوة منذ نعومة أظافره وتتلمذ على يده فلازمه لزوم الابن البار لأبيه،وأصبح موضع ثقته وخزانة أسراره يصطحبه في حله وترحاله مما مكنه من المعرفة التامة بأحوال الشيخ بن عليوة ونشاطه الديني.

لذا ليس غريبا أن يتوج الشيخ بن عليوة تلك الروابط التي بينه وبين تلميذه برباط المصاهرة، حيث زوجه بابنة أخته التي كانت تحت كفالته ،كما عهد له بالإشراف على شؤون الزاوية وروادها في حياته،وأوصى له بالخلافة كِتابةً[21]بعد مماته[22].

ويقال أن الشيخ عدة سار على نهج سلفه فكان يقيم حلقات دروس في المساجد، ويشرف على تربية القصر في السجون وعلى تنظيم مخيمات الشبيبة العلاوية، وساهم في بناء المساجد والمدارس وكانت له رحلات داخل الوطن وخارجه لتفقد أهل النسبة ومساعدتهم لنشر الوعي الإسلامي والثقافة الصوفية[23]. وقيل أن الطريقة العليوية عرَفت في عهده توسعا وانتشارا كبيرين، وفتحت في عهده الزوايا في جهات مختلفة[24].

كما أنشأ الشيخ "عدة" جريدة "لسان الدين" الثانية (1936- 1939) ومجلة "المرشد" الشهرية (1946- 1952) باللغتين العربية والفرنسية، وكانت متعددة المواضيع تعنى بمشاكل المسلمين الاجتماعية والدينية وتدافع عن القيم الروحية للطريقة العليوية

وساهم الشيخ "عدة" في نشر معظم التراث المخطوط الذي خلفه الشيخ بن عليوة،وأشرف على تحقيقه وطبعه، وتوفي في12 جويلية 1952 [25] تاركا بعض المؤلفات :

- وقاية الذاكرين من غواية الغافلين .
- فك العقال عن تصريف الأفعال .
- الدرة البهية في أوراد الطائفة العلوية .

- الروضة السنية في المآثر العلوية .
- تنبيه القراء .
- مجالس التذكير .
- آيات المحبين في مقامات العارفين (ديوان شعر ب46 قصيدة). [26]

2- الشيخ محمد المهدي بن عدة بن تونس:

وهو الشيخ الثالث للطريقة ،ولد يوم 26 فيفري 1928 بمدينة مستغانم ، وكانت سنواته الست الأولى تحت إشراف ورعاية الشيخ أحمد بن عليوة الذي أحاطه بعناية كاملة، فكان يصطحبه إلى مجالس ذِكره و وعظه، وأوصى له بالخلافة بعد أبيه[27]،ولما بلغ الحادية عشر من عمره أتم حفظ القرآن الكريم، فاصطحبه أبوه الشيخ "عدة" معه إلى الحج سنة1939 بعد أن صلى بالناس التراويح خلال شهر رمضان [28]، ويقال أنه تميز بالفطنة المبكرة والذاكرة القوية والذكاء الحاد و الطبع اللين . توفي والده " الشيخ عدة" في 12 جويلية 1952 فتولى محمد المهدي مشيخة الطريقة مقتفيا آثار أسلافه في خدمة النسبة العليوية، وقد خاطب فقراء الطريق يوم توليه المشيخة وذكرهم بالتزاماتهم وأنهى إليهم أن الخلوة المعهودة في الطريق قد أوقفت ليحل محلها العمل الصالح، وقيل أنه أنشأ عدة زوايا في الداخل والخارج وجدد بناء الزاوية الكبرى بمستغانم على نمط عصري، واشترى عدة أراضي فلاحيه وجعل جميع ذلك وقفا على الطريقة ضمن الأحباس العلوية [29].

ولعل أبرز حدث واجه الشيخ محمد المهدي هو اندلا ع ثورة التحرير الكبرى فكان من الملبين لندائها، المنضوين تحت لوائها،حيث جند الأتباع والمريدين للمساهمة فيها[30]. وحسب شهادات بعض المناضلين من المنطقة فإن الشيخ أمد عناصر جبهة التحرير بالمال وسخر لهم الزاوية لحفظ الأسلحة والأدوية[31]،مما أدى إلى سجنه مع بعض أفراد أسرته[32].

وبعد الاستقلال اصطدم الشيخ بالتوجه الاشتراكي الذي انتهجه ساسة البلاد في البداية مما جر عليه متاعب كثيرة حيث تم تأميم ممتلكات الزاوية مع سجنه ونفيه إلى الحدود التونسية ، ويقال أن هذه المحن لم تثن من عزيمته، حيث اقترح تكوين النـادي الفكري لمعالجة قضايا الوطن واتصل ببعض الشخصيات المهمة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإصلاح ذات البين و إزالة الخلاف ، كما كان له طموح لتأسيس جامعة ومعهد لتعليم القرآن ، وتوفي الشيخ يوم 24 أفريل1975 ولم يبلغ سن الخمسين[33].

3- الشيخ خالد بن تونس :

هو الشيخ خالد عدنان بن تونس بن محمد المهدي ، ولد بمستغانم سنة 1949 ، ترعرع بين أحضان الزاوية العليوية الكبرى بمستغانم حيث تلقى دروسه الابتدائية من القرآن الكريم والفقه والحديث، وكذا التصوف الذي تلقاه على يد شيخه وأبيه الشيخ محمد المهدي ، وكانت دروسه بالزاوية بالموازاة مع دروسه بالمدارس العمومية[34].

توجه إلى أوربا في سن مبكرة –بإشارة من أبيه- فانتقل إلى فرنسا ومنها إلى انجلترا ليلتحق بكلية الحقوق بجامعة أكسفورد لكنه لم يتأقلم ولم يرقه الجو هناك فعاد إلى فرنسا ليدخل ميدان التجارة واحتك بعالم أوروبا المادي الذي كان على النقيض مما تعلمه من قيم روحية في رحاب الزاوية فكان له ذلك امتحانا صقل تجربته ، وفي24افريل1975 توفي والده الشيخ محمد المهدي فعاد إلى مستغانم لحضور مراسيم الدفن،ويومئذ اجتمع أعيان الطريقة ومريدوها بمستغانم وأجمعوا على مبايعته خلفا لوالده وألزموه بذلك- على حد قوله- فأصبح الخليفة الرابع للطريقة العليوية[35]إلى يومنا هذا .

شرع الشيخ خالد بن تونس بعد تصدره للمشيخة في نشر الطريقة وتجديد هياكلها في جميع المناطق داخل البلاد وخارجها مع إنشاء زوايا جديدة[36]مضيفا إليها عددا من أقسام الدراسة ومكتبات المطالعة ، كما أسس عددا من الجمعيات كجمعية

الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية بالجزائر ، وجمعية أحباب الإسلام بباريس و بروكسل ، والكشافة الإسلامية بفرنسا ، وجمعية أراضي أوروبا بباريس[37]

إضافة إلى ما سبق دأب الشيخ على تنظيم الملتقيات وطبع كتب الطريقة العليوية وترجمتها، وإصدار "مجلة أحباب الإسلام" باللغة الفرنسية بباريس، ومجلة "الرسالة" باللغة العربية التي توقفت عن الصدور،كما أنشأ مدرسة للإعلاميات بمركز أحباب الإسلام بباريس[38] ، وهذه الجهود وغيرها- حسب أ/صلاح مؤيد العقبي- جعلت الكثير من الأوربيين يسلمون على يده[39].

ويَذكر خالد بن تونس أن له العديد من الأعمال الفكرية من مقالات ومحاضرات ولقاءات وأنه أصدر حوالي20كتابا، وكان من مؤسسي المجلس الفرنسي للدين الإسلامي بفرنسا،كما أنشأ مؤسسة جنة العارف في البيئة بمستغانم ، وانه يسعى حاليا لإنشاء مسجد جديد بباريس(مسجد القرن الواحد والعشرين)[40].

5/ وسائل التبليغ والتجديد:

إن الوسائل التي اعتمدتها الطريقة العليوية لتبليغ أفكارها وتعاليمها،والتي كانت تتجدد بشكل يواكب التطور و العصرنة كانت من أهم الأسباب التي جعلتها تنتشر بشكل واسع وسريع داخل الوطن وخارجه. فقد استعملت منذ تأسيسها أحدث وسائل الاتصال والتبليغ وأحسن الأساليب النظامية مما جعلها تتميز عن باقي الطرق الصوفية التي بقي نشاطها منحصرا خلف جدران الزوايا.

وأهم الوسائل دأبت الطريقة على استخدامها في الإصلاح والتبليغ والتجديد:

أ- استخدام الصحافة:

لقد أصدرت الطريقة العلاوية أول صحيفة بعنوان "لسان الدين" بعاصمة الجزائر في2جانفي1923 تحت إدارة الأستاذ مصطفى حافظ الذي كان يشتغل يومئذ مدير مدرسة قرآنية بالعاصمة وقد ظهرت هذه الجريدة في وقت كانت فيه الجزائر في أمس الحاجة إلى صحف عربية تدافع عن الإسلام واللغة العربية[41]،لكنها توقفت بعد 12عددا فقط ، فتم إصدار صحيفة ثانية هي "البلاغ الجزائري"(1926-1948) التي انشأ لها الشيخ بن عليوة مطبعة بمستغانم ثم أخرى بالعاصمة،واهتمت هذه الصحيفة بالجانب الاجتماعي والديني والشؤون السياسية والوطنية[42]،وعرفت بموادها الغزيرة ومقالاتها الكثيرة التي كانت اغلبها موجهة للدفاع عن الدين الإسلامي والانتصار للتصوف والطرق الصوفية التي تعرضت لهجمات الإصلاحيين.

كما أصدرت الطريقة العليوية صحيفة "لسان الدين الثانية"(1936- 1939) للشيخ عدة بن تونس وسارت على نهج سابقتيها لكنها توقفت بسبب مجريات الحرب العالمية الثانية ،فأسس الشيخ 'عدة' مجلة "المرشد" الشهرية سنة 1946 والتي توقفت بوفاته سنة1952.

والمتتبع لصحافة الطريقة العليوية يلاحظ أن البلاغ الجزائري هي أهم صحيفة أصدرتها الطريقة بالنظر إلى موضوعاتها وكُتابها وكذا طول عمرها،وبذلك فأهميتها تتعدى لتكون من أهم الصحف الجزائرية في فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي.

ب-التأليف والنشر:

إضافة إلى الصحافة استعملت الطريقة العلاوية التأليف والطبع[43]، وهي الوسيلة التي حافظت على تراث الشيخ بن عليوة وزاويته والطريقة عموما[44]. وأهم المؤلفات التي خلفها مؤسس الطريقة من الكتب والرسائل التي بلغت 25 كتاب ورسالة، بين مطبوع ومخطوط، يمكن تصنيفها على النحو التالي:

*في التصوف والفلسفة:

- المنح القدسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية.
- القول المعروف في القول على من أنكر التصوف.
- رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف.
- القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد(الله).
- المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية.
- الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية.
- برهان الخصوصية في الطريق البوزيدية (مخطوط).
- معراج السالكين ونهاية الواصلين.
- الديوان (شعر).
- الحكم العلوية.
- دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار.

*التفسير:

- البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور.
- لباب العلم في تفسير سورة والنجم.
- مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر.
- الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد، ويسمى كذلك كتاب النقطة.

*في العقيدة والفقه:

- الرسالة العلوية في البعض من المسائل الشرعية (منظومة في ألف بيت).
- مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد.
- القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول.
- النور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد.
- الأجوبة العشرة (مخطوط).
- قواعد الإسلام (بالفرنسية).
- دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار.
- مفتاح الشهود في مظاهر الوجود
- المناجاة.

ويعتبر أحمد حماني هذه الآثار من شعر ونثر شاهدا على أن الشيخ أحمد بن عليوة لم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم[45]، لكن الذين اطلعوا على بعض هذه المؤلفات أمثال الدكتور عمار طالبي، والأستاذ حمزة يدوغي و الأستاذ محمد شريف قاهر... وغيرهم أشادوا بهذه المؤلفات واعتبروا الشيخ بن عليوة من علماء العصر ومن المجددين في التصوف.[46]

ج- السياحة وتأسيس الزوايا:

دأب شيوخ الطريقة على السياحة والعمل على إنشاء الزوايا في مختلف المناطق داخل الوطن وخارجه بأنفسهم أو تحت إشرافهم، ومهمتها هي تعليم القرآن ومبادئ الفقه الإسلامي وبث التربية الروحية وفق الطريقة العلاوية، وهي موزعة جغرافيا كالآتي:

*في الجزائر: وتتوزع كما يلي:

- الغرب الجزائري: وتشمل زاوية مستغانم الأم ، وهران، تلمسان وغليزان.
- الوسط: وفيه زاوية بوزريعة ، منطقة القبائل، خاصة القبائل الصغرى (أقبو، جعافرة، الماين، بني يعلي) وبرج بوعريريج.
- الشرق الجزائري: وفيه زاوية خنشلة وعنابة.

*المغرب العربي: وتتوزع كما يلي:

- المغرب الأقصى: ويضم الزوايا المنتشرة في عدة مناطق من الريف المغربي، إلى جانب زوايا تيطوان ، طنجة وسبتة.
- تونس: وفيها عدة زوايا بالساحل التونسي.

*المشرق العربي: وتتوزع في:

- بلاد الشام: وتشمل الزوايا الموجودة في كل من فلسطين (غزة ويافا)، وزاوية دمشق في سوريا.
- السعودية: الزاوية الموجودة بالمدينة المنورة.
- اليمن: زاوية عدن.
- زاوية بالسودان.

*شرق إفريقيا: نجد :

- الحبشة: زاوية أديس أبابا.
- زاوية الصومال.

*في أوربا: نجد الزوايا التالية:

- فرنسا: زاويتان بباريس ومرسيليا.
- هولندا: زاوية بلاهاي.
- إنجلترا: زاوية بلندن... [47]

د- تنظيم الجمع السنوي:

اعتادت الطريقة تنظيم الاحتفالات كالاحتفال السنوي الذي أسسه الشيخ بن عليوة - وعادة ما يكون في شهر أكتوبر- بداية من سنة1927 والذي كان خاصا بأبناء الطائفة ثم أصبح الشيخ يدعوا لحضوره مختلف فئات الأمة ،فكانت تحضره طوائف من نوازع شتى ، إضافة إلى العديد من الأعيان والفضلاء والعلماء، فكان يعتبره بن عليوة احتفال الأمة ، يقام للمصلحة العامة ولتبادل الأفكار لبحث أساليب خدمة الملة، وقد دعا إليه كل توسم فيه القدرة على خدمة الأمة، وخدمة مشروعه الإصلاحي التجديدي فكانت تلقى فيه الدروس بلغات شتى تتخللها تلاوة من الذكر الحكيم، والسماع .

أما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فقد أعطاه الشيخ محمد المهدي طقوس خاصة[48]مازالت تمارس إلى يومنا هذا.

هـ- تنظيم الملتقيات وتأسيس الجمعيات:

شرعت الطريقة العليوية بعد تولي الشيخ خالد بن تونس رئاستها في تنظيم الملتقيات حيث نظمت ملتقى دولي بباريس أيام 14، 15 و16 سبتمبر1984 بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ أحمد بن عليوة[49] ، وملتقى آخر بالجزائر بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية أيام 16، 17 و18 أكتوبر2001 حضر فعالياته دكاترة ومسؤولين ورؤساء أحزاب، وأخيرا الملتقى الدولي لمئوية الطريقة العليوية الذي نظم بمستغانم من24 إلى 31 جويلية 2009 [50]، والذي حضرته 37 دولة عربية وأجنبية وطرحت فيه 7قضايا للنقاش هي :الأرض ، تربية اليقظة ، الاتصال ووسائل الإعلام ، العولمة ، التنزيل ، الروحيات والتصوف،و المستقبل ، كما كانت هناك ورشات عمل ومعارض وأمسيات... وتجدر الإشارة هنا إلى الضجة الإعلامية والجدل الكبير الذي أثاره كِتاب "الصوفية الإرث المشترك" لشيخ الطريقة خالد بن تونس بسبب الصور التي وردت فيه والمشخصة للرسول صلى الله عليه وسلم - مع تغطية وجهه- وبعض الأنبياء والرسل والصحابة، والتي اعتبرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مساس بالمقدسات الدينية وطالبت بشدة لسحب الكتاب ، أما المجلس الإسلامي الأعلى فأصدر بيانا يرجو فيه سحب الصور أو تغطيتها دون سحب الكتاب[51] .

ومن الأعمال التي تظهر روح مواكبة العصر لدى الطريقة هو إنشائها للمركز المتعدد الخدمات الموجود بالقرب من الزاوية الأم بمستغانم- زرته في 30ماي 2009 -وهو مركز لتعليم القرآن و الإعلام الآلي وكذا ورشة للخياطة وأخرى للنجارة ، بالإضافة إلى قاعة لتعليم الموسيقى الأندلسية.

ولعل أهم ما تفردت به الطريقة العليوية عن باقي الطرق هو تفعيل العمل الجمعوي حيث أصبحت تنشط في إطار جمعيات معتمدة رسميا كجمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية بمستغانم التي تأسست في1991 ،وجمعيات أخرى سبق وأن أشرنا إليها .

فبفضل هذه الوسائل وأخرى استطاعت الطريقة العليوية أن تتميز عن باقي الطرق الصوفية فتعدت بذلك حدود الوطن وأصبح لها صدى في أوربا وآسيا و أمريكا.

الخلاصة :

والحقيقة أن الطريقة العلاوية كانت و مازالت إلى يومنا هذا مجالا للقيل والقال، فقد وجهت لها ولمؤسسها الشيخ أحمد بن عليوة عدة انتقادات من طرف الإصلاحيين واتهموها بالزندقة والإلحاد، مما أدى إلى نشوب الخلاف بين الطرفين، لكن هذا لا ينفي أن الطريقة (وشيخها) كان لها دور إيجابي في الكثير من القضايا الوطنية والعربية الإسلامية.

أما ما يؤكد تميز الطريقة العليوية عن باقي الطرق الصوفية هو اعتمادها منذ تأسيسها سنة 1909 على الوسائل العصرية لتبليغ أفكارها وتعاليمها، إذ تعد أول طريقة صوفية —في حدود علمنا- تقتحم ميدان الصحافة والطباعة وتؤسس صحفا ومجلات، وتطبع كتبا تنشر مبادئها وأفكارها وتعبر عن مواقفها من مختلف القضايا، وهذا ما جعلها تنتشر بشكل واسع وسريع داخل الوطن وخارجه، بشكل كادت تبتلع فيه الطرق الصوفية الأخرى، وأصبح لها زوايا ودعاة في أفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا.

الإحالات:

[1] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا الجزائر، طبعة خاصة، دار البصائر 2009، ص 176.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4(1930-1954)، دار الغرب الإسلامي،بيروت1998، ص 128.

[3] أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص 133.

(4) يحي بعيطيش،"الشيخ أحمد العلاوي شاعرا متصوفا"،كتاب ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، ط1، المطبعة العلاوية بمستغانم، الجزائر 2002، ص 130.

(5) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1984، ص 203.

أنظر كذلك: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنيةالجزائرية، ط1، دارهومة ،الجزائر 2007

(6) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، نفسه ،ج1، ص 213.

(7) علي مراد ،الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من1925الى1940،ترجمة محمد يحياتن ، دار الحكمة ، الجزائر 2007، ص ص82-83

(8) خالد بن تونس ، "حوار مع عزيز طواهر "، جريدة صوت الأحرار، ع3491، سنة 12 ، 08 أوت 2009، ص 6.

(9) كما أن تنظيم ملتقى مئوية الطريقة العلاوية في سنة 2009(25-31 جويلية) يؤكد هذا التاريخ، وكذا النشريات التي وزعتها الجمعيات المنظمة للملتقى كلها تجعل سنة 1909 هي السنة التأسيسية.

(10) - Djamil Aïssani, "LaTariqa Alalawia,LaKabylie et le dialogue inter-religieux", African: Ravista di Studi Extraeuropei, Pisa 2002, p 18.

(11) منشورات المكتبة الدينية للطريقة الصوفية العلاوية بمستغانم، المطبعة العلاوية بمستغانم، 1987، ص 4.

(12) عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلاوية ، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر1987 ،ص 43. أنظر كذلك :

- يحي بعيطيش، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية،ط1، مؤسسة العالمين،2009، ص 32.

(13) عدة بن تونس، المصدر نفسه، ص 42.

(14) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص129. أنظر كذلك:

Marcel Carret, , Le Cheikh El-Alaoui (Souvenirs), 2ème tirage, L'imprimerie Alaouia de Mostaganem, 1987, PP 22-23

(15) سعد الله، نفسه، ص 131.

(16) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، القاهرة، 1963، ص 353.

(17) عدة بن تونس، الدرة البهية في أوراد الطائفة العلوية، ط2، مطبعة التوفيق بدمشق، سوريا 1932، ص 16-21.

(18) أحمد بن عليوة وآخرون، أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، تقديم وتحقيق عبد السلام بن احمد الكنوني، مراجعة واشراف خالد عدنان بن تونس، ج 1، ط1 ، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال بطنجة، المغرب1986، ص 6-7. للمزيد أنظر كذلك :

- عدة بن تونس: الدرة البهية في أوراد الطائفة العلوية ، ص 4 وما بعدها.

(19) يحي بعيطيش، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية،ص53.

(20) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص133.

(21) ويعتقد البعض كالدكتور أبو القاسم سعد الله أن الشيخ أحمد بن عليوة لم يترك أي وصية لخلافته في رئاسة الطريقة ،وأن تولِي الشيخ عدة للطريقة كان إما باتفاق الأتباع أو بالاستيلاء عليها. انظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ، ج4، ص ص132-133. وللمزيد انظر كذلك:

- محمد الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب ، الجزائر1961.

(22) يحي بعيطيش، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية ،ص54.

(23) يحي بعيطيش ، نفسه ، ص54.

(24) صلاح مؤيد العقبي،نفسه ،ص193.

(25) صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق ، ص194.

(26) أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، ج1، ص32.

(27) أوصى الشيخ بن عليوة – قبل وفاته– أمام أعلام الطريقة العلاوية بخلافة محمد المهدي مشيخة الطريقة بعد أبيه، ودعم ذلك بوصية مكتوبة تشمل الشيخ "عدة بن تونس" والأصلح من أبنائه من بعده، ويمتد هذا الشمول في نسله. انظر مضمون الوصية :

–عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلاوية ، ص38–40

(28) يحي بعيطيش، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية،ص144.

(29) أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، ج1، ص35 .

(30) صلاح مؤيد العقبي، نفسه ، ص194.

(31) يحي بعيطيش ، نفسه ، ص145.

(32) – صلاح مؤيد العقبي، نفسه ، ص195.

(33) يحي بعيطيش، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية ، ص ص145–146.

(34) خالد بن تونس ، "حوار مع عزيز طواهر " ، جريدة صوت الأحرار، العدد السابق ، ص8 .

(35) نفسه ، ص8.

(36) صلاح مؤيد العقبي ، نفسه ، ص196 .

(37) خالد بن تونس ،"حوار مع عزيز طواهر " نفسه ، ص8 .

(38) أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، ج1، ص47 .

(39) صلاح مؤيد العقبي ، نفسه ، ص196 .

(40) خالد بن تونس، نفسه ، ص ص6–8 .

(41) صلاح مؤيد العقبي ، نفسه ، ص 176.

(42) عبد العزيز شهبي ، الزوايا والصوفية والعزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران2007 ، ص156.

(43) ينبغي أن نشير إلى المطبعة العليوية بمستغانم التي لعبت دور كبير في إحياء تراث الطريقة العليوية بطبع كتبها وترجمة ما ينبغي ترجمته

(44) هذه الفكرة أشار إليها بعض المتدخلين خلال ملتقى مئوية الطريقة العليوية المنظم بمستغانم من24الى31جويلية2009 .

(45) أحمد حماني، صراع بين البدعة و السنة، ج 1، دار البعث، د ت ، ج 1، ص 163.

(46) أنظر: جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، كتاب التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، المرجع السابق

(47) يحي بعيطيش، نفسه، ص ص 33–34.

(48) يبتدئ الحفل بالزاوية الكبرى بمستغانم ويخرج العلاويون بمشاركة المحبين في حشد كبير لغاية ضريح سيدي السعيد بمستغانم رافعين أصواتهم بالذكر و التهليل والصلاة على النبي الرسول صلى الله عليه وسلم، حاملين الأعلام مطلقين المفرقعات ابتهاجا بالمناسبة. للمزيد انظر:

– أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، ج1، ص37 .

(49) المرجع نفسه، ج1، ص48.

(50) كنت من بين الحاضرين لفعاليات المؤتمر وحاولت أن أحيط بجميع مجرياته ،ومن باب الإنصاف فان الملتقى كان غاية في التنظيم من حيث الإعلام والاستقبال والمأوى والنقل والأمن وكذا أهمية المواضيع المطروحة للنقاش والشخصيات الحاضرة.

(51) للمزيد أنظر : جريدة الخبر اليومي ، العدد5710 ،السنة 19 ، 27 جويلية 2009 ،ص03. انظر كذلك: مختلف الصحف الوطنية الصادرة خلال فترة فعاليات ملتقى مئوية الطريقة العليوية 24– 31 جويلية 2009 .